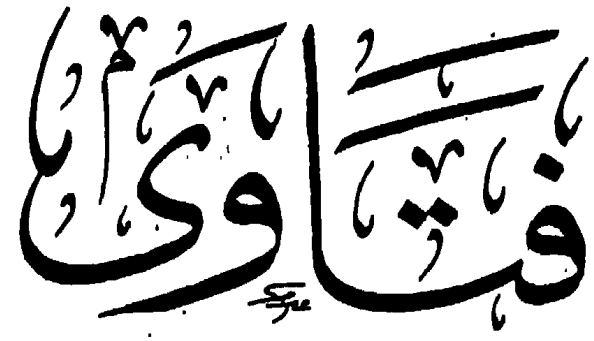

الحافظ ابن حجر العسقلانى

فى

العقيـــدة

تحقيق ودراسة

محمد تامـر

كتاب قد حوى درراً بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيها

حقوق الطبع محفوظة
للناشر

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع
شارع المديرية - امام محطة بنزين التعاون
ت : ٣٣١٥٨٧ - ص . ب : ٤٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ ﴿ **ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة . وخلق منها زوجها ، وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به و الأرحام إن الله كان عليكم رقيباً** ﴾ ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ﴾ .

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

أخى القارىء هذه بعض أعمالنا نهديها إليك التى طالما بذلنا فيها الجهد الوفير وما ذلك والله يعلم إلا خدمة للعلم وأهله .

فهذا القسم من فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلانى قد وفق الأخ المكرم محمد تامر فى الحصول من مخطوطة فى دار الكتب العامرة أثناء تكليفنا له بنسخ بعض المخطوطات التى نحتاج إلى نشرها وأظهر الرغبة فى تحقيقها .

وقد راودتنى فكرة تقسيم هذه الفتاوى إلى ثلاثة أقسام وذلك لجمع الشمل وتوفير الجهد وتنظيم المعلومة حيث إنه رحمه الله كان يسأل فى مجلس واحد عن عدة أسئلة فى مواضيع متفرقة فيجيب عليها لذلك رأينا تقسيمها إلى :

[١] قسم الفتاوى الخاصة بالعقيدة .

[٢] القسم الثانى الخاص بالمسائل الحديثية .

[٣] القسم الثالث الخاص بالمسائل الفقهية .

وقد عهدنا إلى الأخ محمد تامر بتحقيق القسم الأول الخاص بالعقيدة وهو الذى بين أيدينا الآن فأفاد وأجاد فجزاه الله خير الجزاء ووفقنا وإياه للعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أبو حذيفة إبراهيم بن محمد

مقدمة المحقق

بينما أضرب ببصرى فى فهرست المخطوطات الموجود بدار الكتب المصرية ، إذ وقعت عينى على مخطوط بعنوان « أسئلة منقولة من خط الشيخ ابن حجر » فبادرت بطلبها ولما استقرأتها وجدتُها عبارة عن أسئلة مُوَجَّهة للحافظ ابن حجر ـــ رحمه الله ـــ وهو يجيب عليها كتابةً بخطه وهذه الأسئلة فى العقيدة وأغلبها فى أحوال الموتى إذا أُدخلوا القبور ، وغير ذلك ، وفى الفقه والحديث وقليل من التراجم ففرحتُ جذلاً أن كانتْ أسئلةٌ فى أحوال الموتى أجاب عنها الحافظ ابن حجر وأنت خبيرٌ بأن هذه الأمور غيبيةٌ لايُثبت منها شيءٌ ولايُنْفَى إلا بدليل نقلى صحيح وأظنك محيطاً بمقام الحافظ ابن حجر فى علوم الشرع وخصوصا الحديث وعلومه وكفاه شرحُه البخارىَّ فضلاً ، فنسختُها فى عدة أيام ، عاقد العزم على تحقيقها وإخراجها للناس عسى الله أن ينفع بها . والله أسأل أن يجعل عملى كلَّه خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله منى برحمته وفضله .

ترجمة الحافظ ابن حجر(*)

٧٧٣ هـ وفاته ٨٥٢ هـ

١٣٧٢ م وفاته ١٤٤٩ م

هو أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر : من أئمة العلم والتاريخ .

أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة . ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام فى عصره .

قال السخاوى : « انتشرت مصنفاته فى حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر » وكان فصيح اللسان ، راوية للشعر ، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين ، صبيح الوجه ..

وولى قضاء مصر مرات ثم اعتزل .

أما تصانيفه فكثيرة جليلة منها « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ــ ط » أربعة مجلدات ، و « لسان الميزان ــ ط » ستة أجزاء تراجم ، و « الإحكام لبيان ما فى القرآن من الأحكام ــ خ » و « ديوان شعر ــ خ » رأيته فى الأسكوريال (الرقم ٤٤٤) وطبع فى الهند ، و« الكاف الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف ــ ط » و « ذيل الدرر الكامنة ــ خ » و « ألقاب الرواة ــ خ » و « تقريب التهذيب ــ ط » فى أسماء رجال الحديث ، و « الإصابة فى تمييز أسماء الصحابة ــ ط » و « تهذيب التهذيب ــ ط » فى رجال الحديث ، اثنا عشر مجلداً ، و « تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ــ ط » و « تعريف أهل

(*) نقلا عن « الأعلام للزركلى » (١/١٧٨-١٧٩) ط دار العلم .

التقديس ــ ط » ويعرف بطبقات المدلسين ، و « بلوغ المرام من أدلة الأحكام ــ ط » و « المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس ــ خ » جزآن ، أسانيد وكتب ، و «تحفة أهل الحديث عن شيوخ الحديث ــ خ » ثلاث مجلدات ، و « نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر ــ ط » فى اصطلاح الحديث ، و « المجالس ــ خ » بخط البقاعى ١٩٣ مجلساً ، قال الميمنى (فى مذكراته ــ خ) : نسخة جليلة مهمة نادرة ، و « القول المسدّد فى الذب عن مسند الإمام أحمد ــ ط » و « ديوان خطب ــ ط » ، و « وتسديد القوس فى مختصر الفردوس للديلمى ــ خ » ستة مجلدات ، تنقص الثالث ، و « تبصير المنتبه فى تحرير المشتبه ــ ط » فى أربعة أجزاء و « رفع الإصر عن قضاة مصر ــ ط » و « إنباء الغمر بأنباء العمر ــ ط » فى مجلدين ضخمين ، و « إتحاف المهرة بأطراف العشرة ــ خ » حديث ، و « الإعلام فى من ولى مصر فى الإسلام ــ خ » و « نزهة الألباب فى الألقاب ــ خ » منه نسخة نفيسة فى جامعة الرياض (٥٤ ورقة الرقم ٥٢) كما فى مذكرات الميمنى ــ خ ، و « الديباجة ــ ط » فى الحديث ، و « فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ــ ط » و « التلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير ــ ط » و « بلوغ المرام من أدلة الأحكام ــ ط » مع شرحه « سبل السلام فى شرح بلوغ المرام ــ ط » لمحمد بن إسماعيل الأمير ، و « تغليق التعليق ــ خ » ستة أجزاء منه ، فى الحديث .

ولتلميذه السخاوى كتاب فى ترجمته سماه« الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » فى مجلد ضخم[1]

---

(١) لمزيد من التفصيل ارجع إلى المراجع الآتية : التبر المسبوك ٢٣٠ ، وابن شقدة ــ خ ــ والضوء اللامع ٣٦:٢ ، والبدر الطالع ٨٧:١ ، وخطط مبارك ٣٧:٦ ، وآداب اللغة ١٦٥:٣ ، ولسان الميزان ٦ : خاتمته لمصحح طبعه .
والدرر الكامنة ٤: خاتمته للناشر ، وبدائع الزهور ٣٢:٢ وفيه وفاته سنة ٨٥٤ هـ ، والفهرس التمهيدى ٣٩٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٤٢ ، ٥٦٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١٣١:١ وانظر ترجمته لنفسه فى كتابه رفع الإصرار ٨٥:١ .

ملاحظات عن المخطوطة :

١ ــ لهذا المخطوط نسختان بدار الكتب المصرية : إحداهما تحت رقم (١٥٥٩) حديث وهى نسخة قديمة :
وأما الثانية : فهى منقولة من النسخة السابقة وقد كتبها محمود عبد اللطيف محمود النساخ بدار الكتب المصرية . وقد انتهى من كتابتها فى صباح يوم الخميس الموافق أول شهر رمضان المعظم من سنة ١٣٥١ هجرية و (٢٩) من شهر ديسمبر من سنة ١٩٣٢ ميلادية ، وهذه النسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم «٢٥٥٦٦» ب.وعدد ورقاتها (٨٨).وهى مكتوبة بخط النسخ ، ومقاس الصفحة ١٧ / ٢١ سم . وهى التى اعتمدت عليها فى التحقيق .

٢ ــ وهذا المخطوط عبارة عن أسئلة رُفعت إلى الحافظ ابن حجر وكان ذلك فى خلال سنة ٨٣٨ ، وسنة ٨٣٩ كما أشار إلى ذلك السؤال رقم «٣١» من أسئلة العقيدة من ترتيبى فقد قال الحافظ ابن حجر فى آخره : « قاله وكتبه أحمد بن على بن محمد الشافعى فى شعبان سنة ٨٣٩ بالقاهرة المحروسة » ودلّ على ذلك أيضاً السؤال السادس من أسئلة الحديث فقد قال الحافظ فى أوله :« ورد علىّ من الشيخ شمس الدين بن محمد بن الخضر بن داود الحلبى الأصل المعروف بابن المصرى وشيخ الباسطية من القدس الشريف فى أوائل جمادى الآخرة سنة ثمان مائة وثمان وثلاثين من القدس الشريف ، ما هذا ملخصه .... » .

والأسئلة قد تكون مجموعة كثيرة يسأل عنها مرة واحدة ، وقد تكون سؤالاً واحداً .

٣ ــ سأل هذه الأسئلة للحافظ أفرادٌ شتّى ومن أماكن مختلفة . وفى أزمان متغايرة .

٤ ــ رَفع بعضَ هذه الأسئلة للحافظ ابن حجر شيخٌ يُدعى زين الدين رضوان وقد صرح باسمه الحافظُ نفسُه وذلك فى السؤال الموفى ثلاثين فقد قال فيه :

« خسوف القمر سبق الجواب عنها فى الكراس الذى أحضره الشيخ زين الدين رضوان » .

٥ ــ وأما الذى نقلها من خط الحافظ فلا أدرى من هو وقد يكون هو الذى رفع إليه الأسئلة وإن كان هذا لايلزم ، و لم تُكْتَب المخطوطة مرةً واحدةً بل كُتِبَ بعضُها فى حياة الحافظ وبعضها كُتب بعد موته ودلّ على ذلك أن الناقل لم يترحم على الحافظ فى معظم الأسئلة وترحّم عليه فى بعضها كما فى السؤال رقم (٢٧) من ترتيبى .

عملى فى هذا المخطوط :

١ ــ نقلُه من دار الكتب المصرية .

٢ ــ رتبت الأسئلة ترتيباً غير الترتيب الذى بالمخطوط فقد جمعت أسئلة العقيدة فى باب مستقل بها ، وكذلك أسئلة الفقه والحديث ، وقد ارتأيت أن هذا الترتيب يفيد القارىء عن الترتيب الأصلى . وذلك لأن غالب الأسئلة كانت ترفع للحافظ مجموعة مشتملة على أسئلة متنوعة ويسأل عنها دفعة واحدة ، فيتصفحها ثم يجيب عليها بقوله أما كذا فالجواب كذا ، وأما السؤال الثانى فإجابته كذا ، وأما الحديث فكذا ، وهكذا إلى آخر الأسئلة وهذا مثال يبين ذلك : « وسئل عن حكم بكاء الوالدين على ولدهما أحرام أم مكروه ؟ وهل يتألم الميت لذلك صغيراً كان أو كبيراً ؟ وهل يُباح للولد البكاء على أبويه بعد دفنهما أم لا ؟ وهل يحرم الثواب إذا بكى عليهما من غير ندب ولانياحة ؟ وهل بيت الحمد يبنى فى الجنة ، بكى أم لم يبكِ ؟ أم للصابر خآصة ؟

وكذلك إذا مات له ولد أو أكثر ، هل يكون ذلك ستراً له من النار مع الصبر ، أم مطلقاً صبر أم لم يصبر ؟

وهل أرواح أطفال المسلمين مقيمة على فناء فيه القبر أم عند البيت المعمور حول إبراهيم الخليل .... وهكذا » .

فيقرؤها ثم يجيب عليها إجابات متوالية وقد يقدم إجابة سؤال على إجابة سؤال

to: www.al-mostafa.com

آخر هو قبله فى الأسئلة وقد ينسى بعض الأسئلة فلا يجيب عليها . ومما لاشك فيه أن فَصْل كل سؤال وجوابه عن الآخر يريح القارىء ويفيده ولا يُجهد ذهنه .

٣ ــ تخريج الأحاديث ــ بقدر المستطاع ــ ولم أستقص ذلك إذ أن عزو الحديث للكتب الستة ــ إن كان فيها كلها ــ أو لبعضها يكفى غالباً القارىء العادى ، وقد يسَّر علىّ الحافظُ ــ رحمه الله ــ تخريج الأحاديث إذ أنه ينص على موضع الحديث وعن أى صحابى هو ، وينص على درجته من الصحة والضعف فى معظمها فجزاه الله خيراً كثيراً .

٤ ــ ركزت (بعض الشىء) على إشباع الإجابات وذلك بالنقل عن العلماء الآخرين سلفاً وخلفاً ومُحْدَثين حتى لايحتاج القارىء العادى إلى النظر فى مكان آخر ليروى ظمأه ، وتطمئن نفسُه ، وقد أَنْقُل عن الحافظ نفسه من كتابه فتح البارى وقد نوَّه هو بنفسه فى بعض الإجابات إلى أنه قد استقصى المسألة فى « فتح البارى » وأبادر القول بأن الحافظ بدأ شرحه للبخارى من سنة ٨١٧ هـ وانتهى منه فى سنة ٨٤٢ وزمن الأسئلة فى هذا المخطوط مابين سنة ٨٣٨ و سنة ٨٣٩ تقريباً كما أشرت إلى ذلك قبلاً ، أى كان الحافظ قد قارب على الانتهاء من « فتح البارى » .

٥ ــ **ملحظ هام .**

اقتضى ترتيب الأسئلة وإجاباتها حذف بعض الحروف ليستقيم الكلام ، واقتضى كذلك زيادة بعض الحروف والكلمات ، وقد وضعت ذلك بين معقوفتين هكذا [ ] فكل ما بين هاتين المعقوفتين إنما هو من محققه عفا الله عنه .

فى أى مكان كانت المعقوفتان وتجد ذلك كثيراً بعد قوله : (وسئل) فأنا أزيد عليه قول [رحمه الله] أو ما شابه ذلك .

٦ ــ ترقيم الأسئلة .

اعتذار

أعتذر للقارىء الكريم أنْ أكْثَرْتُ من النقول عن العلماء وكان ذلك ـــ علم الله ـــ حرصاً منّى وخشية أن يكون لمثلى كلامٌ بين كلام علمائنا ، وكان قدوتى فى ذلك الإمام السيوطى وجمال الدين القاسمى ـــ رحمهما الله فهما يكثران من النقول عن سابقيهم ولم يَرَوْا فى ذلك حرجاً ، والله أسألُ أن يغفر لنا جميعاً وأن يسترنا بستره الجميل يوم يقوم الناسُ لرب العالمين .

محمد تامر

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.
أسئلة نقلتها من خط شيخ الاسلام المستفتي
تغمده الله برحمته.
وصورة ما كتب بخطه الشريف بـــــ
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
أما بعد فان هذه الأسئلة قد تكلم الناس
فيها ولكن في ايراد بعضها خلل سياتي ايراد الصواب
فيه وكذا في تبيينها فأما قوله الميت اذا اجاء
الملكان منكر ونكير وسألاه فلم يجب سؤالهما
هل يعذبانه الى يوم القيامة أو يعذبانه زمانا
مخصوصا قلت المسئلة ليست محررة العبارة
ولعله اراد أن يقول بدل قوله فلم يجب سؤالهما
فلم يقر بمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة فانا
لا نعرف في الاخبار أن أحدا من المسئولين يمتنع
من الجواب بل اما أن يقول هو محمد جاءنا بالحق
أو معنى ذلك أو يقول لا أدري سمعت الناس
يقولون شيئا فقلته أو معنى ذلك فكأن السائل
أراد بقوله فلم يجب سؤالهما أي بالجواب الحق
أو نحو ذلك وكذا قوله هل يعذبانه لا معنى لتشبيه
ذلك اليهما خاصة بل صواب العبارة أن يقول

هل يعذب على البناء المجهول من مناسبة العذاب
لأحد يعيد فاذا تقرر ذلك فأجوبة
أن الكافر والمنافق نفاقا كفريستمر عذابهما أبدا
على ما دلت عليه الأخبار ففي بعض طرق حديث
البراء بن عازب الطويل الذي أخرجه احمد وصححه
أبو عوانة في صفة المسألة في القبر قال في آخره
ثم يخرق له خرق الى النار فيأتيه من غمها ودخانها
الى يوم القيامة وفي طريق أخرى ثم يقيض له
أعمى أصم أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب
بها جبلا لصار ترابا يضربه بها ضربة فيصير
ترابا ثم يعاد. وفي حديث أبي هريرة
الذي أخرجه احمد والترمذي وصححه ابن حبان
في صفة المسألة أيضا فيقال للأرض التئمي
عليه فتلتئم فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها
معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وفي
حديث أبي سعيد عند الترمذي أيضا فتلتئم
عليه حتى تختلف أضلاعه أضلاعه ثم يقيض له
سبعون تنينا لو أن أحدا منها نفخ في الأرض ما
أنبتت شيئا فتنهشه وتخدشه حتى يبعث للحساب
والجمع بين هذه الأخبار أن العذاب يتنوع
للكفار وروى ابن أبي الدنيا في كتاب

فتـــــاوى

الحافظ ابن حجر العسقلاني
فـــي
العقيـــــــــدة

تحقيق ودراسة
محمـد تـامـر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أسئلة نقلتها[1] من خط شيخ الإسلام العسقلانى ــ تغمدّه الله برحمته ــ وصورة ما كتبه بخطه الشريف .

« الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد فإن هذه الأسئلة[2] قد تكلم الناس فيها ، ولكنْ فى إيراد بعضها خلل ، سيأتى إيرادُ الصواب فيه وكذا فى تبيينها ،

[السؤال الأول]

فأما قوله[3] : الميت إذا جاء الملكان منكر ونكير وسألاه ، فلا يجيب سؤالهما ، هل يعذبانه إلى يوم القيامة ؟ أو يعذبانه زماناً مخصوصاً ؟

قلت[4]: المسألة ليست محررة العبارة ولعله أراد أن يقول بدل قوله : « فلا يجيب سؤالهما » : « فلا يقر بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالرسالة » فإنا لانعرف فى الأخبار أن أحدا من المسئولين يمتنع من الجواب ، بل إما أن يقول :

---

(١) سبقت الإشارة إلى أن ناقل المخطوطة من خط الحافظ غير معلوم بالتحديد ، والمتوقع أنه الذى كان يرفع الأسئلة للحافظ ومنهم الشيخ زين الدين رضوان كما سبقت الإشارة إلى هذا .

(٢) واضحٌ أن الحافظ ــ رحمه الله ــ عُرضت عليه مجموعة من الأسئلة فنظر فيها إجمالاً ثم بدأ يجيب عنها سؤالاً سؤالاً .

(٣) أى : قول السائل .

(٤) أى : الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله .

هو محمد جاءنا بالحق أو معنى ذلك ، أو يقول « لا أدرى . سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته »[٥] أو[٦] معنى ذلك ، فكأن السائل أراد بقوله فلا يجيب سؤالهما أى : بالجواب الحق ، أو نحو ذلك وكذا قوله : « هل يُعَذِّبانه » لامعنى[٧] لتشبه ذلك إليهما خاصة بل صواب العبارة أن يقول : هل يُعَذَّب ـــ على البناء للمجهول ـــ من مناسبة[٨] العذاب لأحد بعينه ، فإذا تقرر ذلك فالجواب : أن الكافر والمنافق نفاق كفر[٩] يستمر عذابهما أبداً على ما دلّت

---

(٥) وذلك كما فى حديث البراء بن عازب الذى رواه الإمام أحمد بطوله فى مسنده (٤ / ٢٨٧) وفيه أن المؤمن إذا سئل« ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ » يقول : « هو رسول الله » .
ـــ وفى رواية فى الصحيحين « يقول : هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وأطعنا ، ثلاث مرات » .
وفى الحديث أيضاً أن الكافر إذا سئل يقول « هاه هاه ، لا أدرى ، سمعت الناس يقولون ذلك » .
ورواه البخارى بسنده عن أنس (جـ ١ / ص ٢٣١ ط الحلبى) فى (كتاب الجنائز) .
ورواه مسلم فى كتاب الجنة بسنده عن أنس أيضاً (جـ ٢ / ص ٥٤٤) ط الحلبى وأبو داود (جـ ٤ / ص ٢٣٨) حديث رقم (٤٧٥٣) عن البراء .
وابن ماجه عن أبى هريرة مع اختلاف فى اللفظ (٢ / ص ١٤٢٦) فى كتاب الزهد حديث (٤٢٦٨) ورواه الحاكم (١ / ٣٧ ـــ ٤٠) .

(٦) فى الأصل « ومعنى ذلك » .

(٧) كذا فى الأصل وغالب ظنى أن الصواب « لامعنى لنسبة ذلك إليهما » والمقصود والله أعلم ـــ أن السائل أخطأ فى نسبة العذاب إلى منكر ونكير وكان الأصوب ـــ كما رأى الحافظ ـــ أن لايُنْسَبَ العذاب بعينه .

(٨) كذا فى الأصل ولعل الصواب « من غير نسبة العذاب لأحد بعينه والله أعلم » .

(٩) كما عليه أهل السنة والجماعة أن الكفر ينقسم إلى كفر أكبر ، وكفر أصغر فالأكبر هو المخرج من الملة ، أما الأصغر فلا ، وكذلك النفاق والشرك والفسق والظلم =

= والمعصية فكل ذلك ينقسم إلى أكبر مخرج من الملة وأصغر لايخرج من الملة ومن ثم قال البخارى ــ رحمه الله ــ فى صحيحه :« باب : المعاصى من أمر الجاهلية ولايُكَفَّرُ صاحبها بارتكابها إلا بالشرك ، لقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ــ « إنك امرؤ فيك جاهلية » وقول الله تعالى ﴿ **إن الله لايغفر أن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** ﴾ ثم قال بعد قليل « باب ظلم دون ظلم » وساق حديث عبد الله قال : لما نزلت ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أيُّنا لم يظلم » فأنزل الله ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ (البخارى جـ١ / ص ١٥ / بحاشية السندى ط الحلبى) .

وقال ابن قيم الجوزية ــ رحمه الله ــ:« وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر فالأكبر لايغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله ندًّا يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذى تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ولهذا قالوا لآلهتهم فى النار ﴿ **تالله إن كنا لفى ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين** ﴾ (سورة الشعراء / ٩٧ ــ٩٨) مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه ، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيى ولا تميت ، وإنما كانت التسوية فى المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركى العالم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده ، وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب الليث إذا حَرَدَ ، وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تتنكر له قلوبهم ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه دَيْدَناً له إن قام وإن قعد ، وإن عثر وإن مرض وإن استوحش فذكر إلهه ومعبوده – من دون الله – هو الغالب على قلبه ولسانه وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته إليه » ثم قال « وأما الشرك الأصغر : فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله كما ثبت عن النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – أنه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك »(*) وقول الرجل للرجل « ما شاء =

(*) الحديث رواه أحمد (٨٧/٢) ، وأبو داود (ج ٢٢٣/٢) حديث (٣٢٥١) ، ورواه الترمذى (ج ١١٠/٤) حديث (١٥٣٥) .

عليه الأخبار[١٠]

ففى بعض طرق حديث البراء بن عازب الطويل الذى أخرجه أحمد[١١] وصححه أبو عوانة فى صفة المساءلة فىَ القبر قال فى آخره : « **ثم يخرق له خرق إلى النار ، فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة** » وفى طريق أخرى « **ثم يقيض له أعمى أصم أبكم ، معه مرزبة من حديد ، لو ضرب بها جبلاً لصار تراباً يضربه بها ضربةً فيصير تراباً ثم يعاد** » وفى حديث أبى هريرة الذى

= الله وشئت » و « هذا من الله ومنك » و « أنا بالله وبك » و « مالى إلا الله وأنت » و « أنا متوكل على الله وعليك » و « لولا أنت لم يكن كذا وكذا » وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب قائله ومقصده ، وصح عن النبى ـــ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـــ أنه قال لرجل قال له « ماشاء الله وشئت » : أجعلتنى لله نداً ؟ قل : ماشاء الله وحده »[**] .

وهذا اللفظ أخف من غيره من الألفاظ (مدارج السالكين جـ ١ / ٣٦٨ ، ٣٧٣) وهذا التقسيم ياأخى ـــ حفظك الله ـــ هو قول أهل السنة قاطبة خلافاً للخوارج الضلال الذين يكفرون بالإصرار على الكبائر وإن اعترف مرتكبها أنه مقترفٌ إثماً وحاملٌ وزراً ، وقد تبعهم فى عصرنا بعض إخواننا خطأً نسأل الله لنا ولهم الهداية والسداد فما عن عمد ضلوا » .

(١٠) ودلت على ذلك الآيات أيضاً قال الله تعالى عن الكفار ﴿ **وما هم بخارجين من النار** ﴾ سورة البقرة / ١٦٧ .

﴿ **لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط** ﴾ سورة الأعراف / ٤٠ .

﴿ **لايقضى عليهم فيموتوا ، ولايخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور** ﴾ سورة فاطر / ٣٦ (انظر رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار تحقيق الألبانى) .

(١١) رواه أحمد (٤/٢٨٧) .

(**) الحديث رواه النسائى فى « اليوم والليلة » وفيه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال للرجل : « أجعلتنى لله عدلا ؟! قل : ما شاء الله وحده » .

أخرجه أحمد والترمذى[١٢] وصححه ابن حبان[١٣] فى صفة المساءلة أيضاً « **فيقال للأرض : التئمى عليه ، فتلتئم ، فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك** » .

وفى حديث أبى سعيد عند الترمذى[١٤] أيضاً « **فتلتئم عليه ، حتى تختلف أضلاعه ، ثم يقيض له سبعون تنيناً ، لو أن أحداً منها نفخ فى الأرض ما أبقت شيئاً ، فتنهسه ، وتخدشه حتى يبعث للحساب** » والجمع بين هذه الأخبار أن العذاب يتنوع للكفار ، وروى ابن أبى الدنيا[١٥] فى كتاب « القبور » تحذير الشعبى[١٦] ، قال : مرّ رجل بقبر فرأى رجلاً يمرح[١٧] من الأرض فقيضه[١٨] به رجل بمقمعة حتى يغيب فى الأرض ، ثم يخرج فيفعل به[١٩] ذلك للنبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم ــ فقال : « **ذاك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة** » .

---

(١٢) رواه الترمذى (جـ ٣ / ٣٨٣) حديث (١٠٧١) .

(١٣) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمى ولد بمدينة (بست) بين سجستان وغزنين وهراة وإليها ينسب الإمام العلامة الفاضل المتقن. كان مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ عالماً بالمتون و الأسانيد ومن تأمل تصانيفه تأمُّل مُنْصِفٍ علم أن الرجل كان بحراً فى العلوم من كتبه « الهداية إلى علم السنن » و « صحيح ابن حبان » وغيرهما كثير توفى فى ٣٥٤ هـ » انظر كتاب « المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين له » .

(١٤) رواه الترمذى (٣ / ٣٨٣) .

(١٥) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشى البغدادى ، ولد سنة ٢٠٨ هـ (الأعلام جـ ٤ / ٢٦٠) .

(١٦) كذا بالأصل ولعلها « عن الشعبى » أو « حدث الشعبى » .

(١٧) كذا بالأصل والصواب « يخرج » .

(١٨) كذا بالأصل ولعل الصواب بدل (فقيضه به) (يضربه) .

(١٩) الظاهر أن ثمة سقطاً ولعل صواب العبارة « فبلغ ذلك للنبى ... » ولم يتم الحافظ الجواب ولعله أرجأ إكمال الإجابة للسؤال الثامن .

[السؤال الثانى]

وأما قوله : « هل يعذب [٢٠] الميتُ قريبَه ، إذا جلس قريباً من قبره ، ويسمع قراءته ؟

فهما مسألتان إحداهما : « معرفة الميت بمن نمى[٢١] إلى قبره » وثانيهما : « سماعه للقراءة » ولكن لامعنى لتقييد ذلك بالقريب دون البعيد ، ولابالبعيد دون القريب ولابسماع القراءة دون غيرهما[٢٢] من سائر الكلام ونحن نبين ذلك فى الجواب .

أما معرفة الميت بمن يزوره ، وسماعُه كلامَه هو [٢٣] مفرع عن مسألة مشهورة وهى « **أين مستقر الأرواح بعد الموت ؟** »[٢٤] فجمهور أهل الحديث على أن الأرواح على أفنية قبورها ، نقله ابنُ عبد البر[٢٥] وغيره ، وتورَّع[٢٦] فى إطلاق ذلك على أرواح الشهداء [فإنها] قد ورد فيها أخبار ظاهرها بخلاف ذلك[٢٧] ، كما سيأتى فى الجواب عن بعض هذه المسائل ولاشك الأنبياءُ أعظم

---

(٢٠) كذا وهو خطأ ظاهر والصواب « يعرف » .

(٢١) لعل الصواب « أتى » .

(٢٢) كذا بالأصل والصواب « غيرها » .

(٢٣) الصواب « فهو مفرع » .

(٢٤) سيأتى لذلك زيادة بيان .

(٢٥) ابن عبد البرّ : هو العلامة العلم الحافظ ابن عبد البر عاصم النمرى القرطبى أحد الأعلام وصاحب التصانيف ولد سنة ثلاث وستين وأربعمائة . انظر شذرات الذهب (٣ / ٣١٤) .

(٢٦) فى الأصل « وتوزع » .

(٢٧) الأخبار فى أرواح الشهداء كثيرة منها ما رواه مسلم فى صحيحه (ج ٢ / ص ١٥٠) =

قدراً من الشهداء . فلا شك أن لأرواحهم من الفضيلة فوق ما للشهداء . وأما سائر الأرواح فمؤمن وكافر فروح الكافر ــ كما مضى ويأتى فى الجواب عن بعض المسائل ــ فى غم[٢٨] وضيق ، وحبس وكرب ، وتعذيب ورد[٢٩] فى المؤمن إما فى غم – إذا كان عاصياً لله دون غم الكافر ــ وإما فى بشر وسرور إذا كان مطيعاً ، وسيأتى تفصيل ذلك والذى تقتضيه ظواهر الأحاديث الصحيحة[٣٠] أن أرواح المؤمنين فى عليين وأرواح الكفار فى سجين ، ولكن لكل منهما اتصال بجسدها ، وذلك الاتصال معنوى لايشبه الاتصال الذى بالحياة الدنيا ، وأقرب مايُشَبَّه به

= ط الحلبى بإسناده عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿ **ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك ، فقال : « أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى القناديل .... » الحديث .

ورواه أبو داود فى سننه عن ابن عباس (جـ٣ / ١٥) حديث (٢٥٢٠)

ورواه الدارمى عن ابن مسعود (جـ٢ / ص ٢٠٦) كتاب الجهاد باب أرواح الشهداء .

(٢٨) قوله « فى غم وضيق » متعلق بمحذوف خبر تقديره « كائنة » أو « استقرت » والجملة بعد حذف الجملة الاعتراضية « فروح الكافر فى غم وضيق » .

(٢٩) كذا فى الأصل وهو خطأ ظاهر والصواب « وروح المؤمن » .

(٣٠) كقوله ــ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ــ « إنما نَسَمَةُ المؤمن طَيْرٌ يَعْلَقُ فى شجر الجنة ، حتى يُرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » .

رواه مالك فى الموطأ كتاب « الجنائز » حديث / ٤٩ ، و(نسمة المؤمن) أى : روحه و (يعلق) أى : يأكل ويرعى « قاله محمد فؤاد عبد الباقى فى تعليقه على الموطأ » .

وروى النسائى (جـ٤ / ص ١٠٨) كتاب الجنائز باب (أرواح المؤمنين) أحاديث فى ذلك أيضاً .

وانظر ابن ماجه (جـ ٢ / حديث ١٤٤٩) من كتاب الجنائز .